

attarbya fa'l sayaaasee "bayn alqahr walou'ee wattahrr" fee falsfa baawlou fareeree

التربية فعل سياسي "بين القهر والوعي والتحرر" في فلسفة باولو فرييري

"Education as a Political Act: Between Oppression, Awareness, and Liberation in Paulo Freire's Philosophy."

أ. عمر حريزي¹، أ.د فضيلة مكران² HARIZI Omar, MOKRANE Fadila

¹ باحث دكتوراه - المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة-الجزائر، omar.harizi@ensb.dz

² المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة(الجزائر)، mokrane.fadila@ensb.dz

تاريخ النشر: 2026/6/12

تاريخ القبول: 2026/6/11

تاريخ الاستلام: 2025/12/3

Abstract : This study aims the profound interrelation between education and politics, with particular emphasis on contexts of oppression and underdevelopment, which form a cornerstone of Paulo Freire's pedagogical philosophy. Freire conceives education not merely as instruction but as an existential practice of awareness and transformation—an act inseparably bound to the political sphere, wherein the quality of education mirrors the structures of power within society. In this sense, education is intrinsically political, just as politics itself unfolds as an educational process. To illuminate this dialectic, Freire situates oppression as the embodiment of political domination, counterposed by education as a praxis of critical consciousness oriented toward liberation. Such moments delineate the essential stages in the constitution of a society envisioned as just, cohesive, and politically emancipated.

Keywords : Education; Politics; Coercion; Awareness.

ملخص: نحاول من خلال هذه الدراسة التطرق لعلاقة التربية بالسياسة وتحديدًا في المجتمعات المقهورة أو المتخلفة، والتي أخذت حيزًا كبيرًا من النظرية التربوية "لباولو فرييري"، فقد انطلق من تحديد معنى التربية كممارسة للتوعية والتغيير، وذلك بربطها بالفعل السياسي الذي يمثل انعكاسًا للتربية المطبقة في المجتمع، فالتربية هي فعل سياسي، والسياسة ممارسة تربوية، ولتوضيح ذلك ربطها "باولو فرييري"، بالقهر كانعكاس للسلطة السياسية، ثم ممارسة التربية كفعل توعوي لأجل تحقيق التحرر. وهي مراحل مهم في بناء مجتمع منشود، مجتمع سوي، مجتمع سياسي متجانس.

الكلمات المفتاحية: التربية ؛ السياسة ؛ القهر ؛ الوعي .

المؤلف المرسل:

1. مقدمة:

تشهد التربية في عصرنا تغيرات كثيرة، تستدعي إلزامية العمل والبحث لمواكبة جديدها والاطلاع على تطوراتها. فالتربية نشاط اجتماعي ذو دور في تحقيق المعرفة والتوعية في مقابل القضاء على الجهل والفقر والقهر، فهي وسيلة فعالة وإن كانت غير مباشرة تبني بها المجتمع والأفراد على فهم المحيط و التأقلم معه أو حتى تغييره. ومن هذا المنطلق إذا نظرنا إلى التعليم السائد نجده قائما على الحشو لا يهتم بالذكاء والإبداع الذي يتمتع به المتعلم، ويركز فقط على استرجاع صور نمطية تكسبه خبرة بفعل التكرار، لا نقد ولا وعي فيها، وهما عصب كل محاولة للتحرر وفهم واقع القهر، وسلب الذات وانصهارها في الفعل الجمعي وضميره.

فكان على الدراسات التربوية أن تهتم بهذا الجانب وتتكيف هي الأخرى مع الواقع المعيش بأبعاده المجمل، وتراعي خصوصيته، وتتماشى واحتياجاتنا التربوية، أو كما عبر عنه فيلسوف التربية باولو فريري "العالم المقهور".

فريري آمن بقيمة التربية ودورها في تحقيق النهضة والخروج من القهر والتبعية. لأنه يرى في التعليم ممارسة للحرية وتحقيق الاستقلالية، وهذا ما يبرر اشتغاله على التوعية والحض على النضال لرفع التهميش والقهر، ففكره يعتبر عند كثير من الدارسين علامة فارقة في الفكر التربوي بل وعبقريّة تربوية مصدرها العالم المتخلف. الذي أقام أسسه الأولى في البرازيل، ثم عُُم على بقية الدول التي تنقسم وتتقاطع معها في واقع التخلف والتبعية من أجل تحقيق التحرر كنتيجة مرجوة.

ولذلك نساءل: عن معنى التربية عند فريري؟ وما علاقة التربية بالسياسة ؟

ثم ماذا قصد فريري بثنائية القهر والتحرر في بنائه التربوي؟

2. ماهية التربية عند باولو فريري :

لقد تنوعت وتعددت معاني التربية باختلاف الأهداف والظروف وأحوال المجتمعات، لذلك نجد "باولو فريري" عبر عن التربية من منطلق تحديد دورها وقيمتها لمجتمع مقهور يطمح للحرية والتطور، فأعطى معاني جديدة للتربية بعيدا عن عالم تحكمه الأفكار فقط، فبنى تربية على واقع امتزجت فيه الآلام والأمال، والفقر والقهر

والحرية والنمو، فعرف التربية انطلاقاً من الواقع وليس اسقاط تعريفات على واقعه، فهو آمن بفكرة الاندماج مع الواقع وبذلك بنى مساراً جديداً للتربية.

"التربية هي ذلك الفعل الإنساني الخاص، والذي يعتبر شكلاً من أشكال التدخل في العالم، والتدخل هنا يعنى الرغبة في احداث التغيرات الجذرية في المجتمع مثل الاقتصاد، والعلاقات الإنسانية والملكية والتوظيف وفي التعليم والصحة. وهذه الأشكال من التداخل -والتي تتبادل المواقع بينها- وهي أبعد من أن توحد بين أفعالنا وما نعلنه، ولعل هذا يتضح جلياً بين ما يقوم به بعض المعلمين من أفعال تناقض أقوالهم، مثل: ممارستهم التسلطية التي لا تبني استقلالية متماسكة لدى طلابهم" (حسام فتحي، 2009، صفحة 78)

ومعنى هذا أن التربية قائمة على مرتكزات ثلاث المعلم، المتعلم، المادة. والتي تقوم في قالب اشكالي يطرحه المعلم لأجل تفاعل الصف، أي أن طلابه يعملون على المشكلة دون تدخل أو إبراز للرأي. فقط ينظم الحوار بينهم وينسق أفكارهم. بمعنى آخر أن يواجه المعلم المتعلم مشكلات من المحتمل مشكلات من المحتم عليهم دراساتها في قالب حوارى جذلي هادف، أي التطبيق العملي للأفكار.

"التربية توليد مجتمع من خلال تعليم ناقد، يعين على تكوين اتجاهات نقدية لمواجهة الوعي الساذج لدى الناس، والذي أفرزته العملية التاريخية، فالتربية تيسر مسيرة التحول من الفكر الساذج الى النقدي وتتميت قدرات البشر على ادراك تحديات العصر، ويهيئهم لمقاومة الضغوط الانفعالية خلال مرحلة التغيير" (باولو فرييري ت: حامد عمارة، 2007، صفحة 72)

وعليه يمكن أن نستنتج أن فرييري لم يعط مفهوم محدداً بعينه للتربية بل حررها وربطها بكل ما يتعلق بالإنسان -سياسي، اجتماعي، أخلاقي، ديني، ثقافي- ولم يميز بين التربية والتعليم، بل اعتبر التعليم شقاً تطبيقياً يمثل الجانب الديناميكي والفعلية، يقول "فرييري": "إن التعليم ليس مجرد ديمومة أو تغير في أي أمر من الأمور، فالتعليم حالة بقاء زمني تتولد من التفاعل بين -الحرية والحتمية- كنفقيين متجادلين، لذلك يظهر التعليم حالة البقاء في حركة التناقض بين الاستمرار والتغيير" (باولو فرييري ت: حامد عمارة، 2007، صفحة 219)

3. التربية فعل سياسي:

لقد كان "فريري" رجلاً سياسياً بامتياز فقد ذكرنا سابقاً أنه كان أحد مؤسسين حزب العمال، انطلاقاً من إيمان عميق وكبير مفاده أن "التربية والسياسة" لا يفترقان وبهما يتحقق الإصلاح والتقدم، ولهذا نجد "فريري" قد خصص جزءاً كبيراً من كتابيه لهذا البعد المهم -حسبه- كتاب "تربية القلب في مواجهة الليبرالية الجديدة" وكتاب "المعلمون بناء ثقافة"، حيث يعتبر "التربية جزء أساسي من طبعة التعليم، ولا يهتم أين؟ أو متى حدث؟ أو كانت أقل أو أكثر تعقيداً، فهي أولاً ودائماً عمل سياسي" (Houks, 1994, p. 07)

فهو يؤكد أن التعليم لا يخلو من التسييس فهما لحمة واحدة، إذ التعليم أحد وجوه السياسة في المقام الأول، لأن هناك علاقة بين بين ممثل السلطة وهو المعلم، والمتعلم وبرامج التعليم، فالتعليم عملية سياسية، والسياسة عملية تعليمية، فلا تعليم محايد. فإما أن يملأ الجماهير ويحشوها بما تريد السلطة عن طريق إرسال الشعب للمدرسة ليتعلم كيف يطيع ويوافق على قراراتها ويقول "نعم" لكل أوامرها، وإما أن يكون محرراً من كل تبعية مهيمنة تسلب حريته، ولا أدل على أن التعليم هو سياسة من رسائل القهر الغير مباشرة التي تتضمنها البرامج -التعليمية- المفروضة، وكذلك في طابع العلاقة المحدد لقيمة ودور المدرس والتلاميذ.

"هناك توجه سياسي -لاديموقراطي- حتى فيما يتجمد في الفصل من العلاقة بين المدرس والتلميذ، وفي المناهج الدراسية، وفي أحادية الإجابة عن الأسئلة بالحقائق الثابتة المطلقة وفي عدم التقدير لأفكار التلميذ وخبراتهم، في عمليات الامتحان ومناخه، وفي مستوى الأبنية المدرسية في مختلف أنواع المدارس، مما يوحي باختلاف مواقع التلاميذ ومكانتهم في المجتمع، وبين المدارس الخاصة والروسية.... وفي الكتب الرسمية المقررة،" (حامد عمارة، 2006، صفحة 190)

"وفي نظام توزيع الطلاب على مختلف التخصصات، وفي أساليب العقاب والثواب، وفي اقتصار العملية التعليمية على التلقين والمعرفة المقدمة من المدرس دون اهتمامه بعملية التعليم الذاتي، وفي اجهاض عمليات التفكير المبدع والخيال الحي، وفي العلاقة بين نوع التعليم وفرص العمل" (حامد عمارة، 2006، صفحة 190)

فالسطة السياسية تختبئ وراء المدرسة لتظهر في مضمون ما يتلقاه التلميذ، فالمعلم الذي يتكلم والتلاميذ يسمعون ما هو الا صورة مصغرة لما ينتظرهم في الحياة السياسية فالسلطة تقرر والشعب ينفذ -الفعال والمنفعل المتأثر- فهذا الموقف يمثل هيمنة السلطة على المجتمع بينما التعليم التحرري ينشد الفعالية المشتركة حكاما ومحكومين وبذلك تزول ثقافة الصمت، وتنشأ العلاقة الجدلية النقدية بين الملقي، فلا معرفة فوق المسائلة والبحث ولا السلطة فوق رقابة الشعب، وبالتالي أن تؤمن بالأفكار التي تعيش بها ونذكر سبب دفاعنا عنها فهي أولى مقدمات التحرر والتوعية وبها تكون حركية العقل في الواقع، وتأثير الواقع في بناء الأفكار، وفي هذا يقول فريري:

"لقد قرأت، وأنا صغير، عبارة لـ"ميجويل دي أونامونا" تقول: "أن الأفكار تكتسب، اما المعتقدات فيعيشها الفرد"، انني أعيش ايماني، وبما أنه لا يصيبني بالجمود، فان وجودي في حالة ايمان يعني التحرك والانخراط في مختلف أنواع الفعل التي تتسق مع هذا الايمان وتعيد تأكيده ولا تنفيه مطلقا، ولا تكمن المشكلة في الايمان أو الاعتقاد، وانما تكمن في ادعائهما والتصرف بما يناقضهما في نفس الوقت" (باولو فريري ت: سامي محمود، 2007، صفحة 171)

وعلى هذا النحو يجب أن نفهم أن التربية أو التعليم عملية مؤسسية ومسيية، تهيب الطلاب لأجل أن ينتسبوا الى القواعد الأيديولوجية والمعرفية السائدة والمسيطرة على النظام "السياسي" بل ويدمجها معا، لأنه آمن بدورها وقيمتها في التربية.

ولذلك هناك توظيف اجتماعي سياسي للتعليم، وهذا ما عبر عنه حامد عمار. اذ يقول: "ان هذه الصلة العضوية بين السياسة والتعليم وما يتجسد في الموقف التعليمي من تعارض أو تناقض في المصالح بين المدرس "السلطة" والتلميذ "المذعن" تجد لهما دعما من أنصار المدرسة النقدية في التربية من أمثال أساتذة مدرسة فرانكفورت، ومنه: "هوركهامير" و"أدورنو" و"هبرماس" و "ماركيوز"، ومنهم "بورديو" و"فوكو" في فرنسا و"جيرو" و"ماكلرن" و"أريك فروم" في الولايات المتحدة. وهذه الفرقة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس يتجهون من تحليلهم للتعليم من منظور كونه قوة سياسية في يد السلطة المهيمنة، ويدعون الى تحرير الانسان من خلال تعليم مغاير، ويرى معظمهم أن عملية التحرير إنما تتجسد في تعليم تصبح قراءة العالم فيه،

من خلال قراءة الكلمة المعبرة عن قدرة الانسان على تنمية ثقافة المقاومة لا ثقافة الصمت" (حامد عمارة، 2006، صفحة 191)

لذلك لا بد من الحركية والعمل التطبيقي الميداني لان الإصلاح التربوي لا يقتصر على التنظير، وانتظار الثقاة السياسة لها من أجل تطبيقها وفهم أبعادها، فما دما نؤمن بهذه الأفكار فنحن من يجب أن نطبّقها لا أن ننتظر ونؤخر حتى يصل الرجل الموعود، بل نحن من نبني ذلك الرجل.

يقول فريزي: "هناك العديد من التحديات التي تواجه الممارسات التربوية السياسية للمربين التقدميين في البرازيل مثل: العولمة الاقتصادية والفقر...، انه مجتمع تكشف فيه الغالبية عن ميل واضح للتغيير، فغالبية الشعب كان على صواب في إصرارها على التغيير، وتعرف ماذا تريد، لقد كانوا يريدون التغيير، كما كانوا يريدون أن يتخلصوا من التضخيم، كانوا يريدون اقتصادا قويا، وعادلا وتعلّما ورعاية صحية... كانوا يريدون أن يشعروا بالسعادة في حاضر يعيشونه بكرامة وفي مستقبل يشاركون في صنعه" (باولو فريزي ت: سامي محمود، 2007، صفحة 127)

وحتى تحصل كل هذه المطامح لابد من الكفاح السياسي، والجميع في السياسة يرغب في تحقيق التطور والازدهار وتجاوز المشاكل، لكنهم يختلفون ويتصارعون وفقا لأيديولوجياتهم ومعتقداتهم لذلك لابد على المربي أن يوضح ويدرس ويمارس السياسة حتى يبرز القيم الضرورية والمشاريع الآنية والاستشرافية التي تحقق النجاح.

"ان كل السعي الناجع إزاء هذه الحال، انما يتجسد في الكفاح السياسي المنظم والتغلب على الآراء السائدة بين النقابات، والانتصار على المواقف الغنوية، وممارسة الضغط بالتعاون مع الأحزاب التقدمية، والابتعاد عن تلك الأحزاب السياسية التوجهات التقليدية، والتضامن مع تلك التي لديها برامج ذات صبغة تتسم بما وراء الحداثة والديموقراطية" (باولو فريزي ت: حامد عمارة وآخرون، 2004، صفحة 94/93)

عندما تسمع مثل هذا الكلام تتأكد من أنه صادر من رجل سياسة متمرس يعلم مرض السياسة والدولة ويبين كيف يكون العلاج، لذلك نظرت اليه الدولة بعد الانقلاب على أنه مخرب يدعو للثورة، فعمله في محو أمية الكبار وتحقيق التوعية كان مسألة سياسية، ولذلك فحملته تعتبر تهديدا لمكانة النخب.

ففعالية "فريري" كمعلم لمحو الأمية لم تعزى فقط الى كفاءته المهنية، بل أيضا الى اعترافه بأن التعليم والتعلم هما عمليتان سياسيتان، فالطابع السياسي للدولة يظهر في التربية والتعليم، في طرق التدريس وأشكال التقويم والمناهج المقدمة أو الموصى بها، فهي تعبر عن سياسات حكومية، وعليه فالتربية ماهي الا سياسة. يقول فريري: "إذا أردنا أن نناضل بكفاءة من أجل حقوقنا، فإننا في حاجة لأن نشعر بالاعتدال والثقة بالأهمية السياسية والاجتماعية لما نقوم به من مهمات" (باولو فريري ت: حامد عماره وآخرون، 2004، صفحة 90)

فالنضال أمر ضروري والانخراط في الحياة السياسية أصبح ملحا أكثر من أي وقت فالمربي لا يخرج عن واقع مجتمعه بل يجب أن يكون هو الشارح الموضح والسباق لمثل هكذا تحديات.

"وعليه، فان الابتدائية هي الادراك والافتناع بأن التعليم ممارسة سياسية، مما يجعلنا نعيد القول بأن المعلم انسان سياسي قطعاً، هذا فضلا على ضرورة تمتعه بالكفاءة العلمية المطردة، والتي تقتضي من المعلم التعرف على واقع حياة طلابه وثقافتهم ولغتهم وألفاظهم وأساليب تخاطبهم، حتى تتضح لديه عاداتهم ومعتقداتهم ومخاوفهم ورغباتهم، التي قد لا تتفق بالضرورة مع العالم الذي يعيش فيه." (باولو فريري ت: حامد عماره وآخرون، 2004، صفحة 151)

لقد كان "فريري" ذكيا عندما انطلق في عمله التربوي بتعليم الكبار، وحلقات محو الأمية لأن التغيير السياسي لأي مجتمع مضطهد يمر بمرحلتين "حسب رأي الباحث" **1.3 الأولى: انعاش الواقع السياسي والاجتماعي بتوعية الكبار.**

2.3 الثانية: بناء طبقة مثقفة من الجيل الجديد متشعبة بالفكر النضالي للقيام بالتغيير حتى نستطيع مواجهة القوى المهيمنة والفساد المنتشر في المجتمع، وهي سبب فساد التربية والتعليم وما ارتبط به من أخلاق ومعاملات، وقد عبر عن ذلك "فريري" بقوله "ومن البين أن المشكلات المرتبطة بقضايا التعليم ليست بالضرورة مشكلات تربوية فنية، فقد تكون مشكلات ذات أبعاد سياسية وأخلاقية ومالية، ومن أمثلة ذلك ما تم الكشف عنه من فضائح في نظام التأمينات الاجتماعية -كما أورده

أحد المعلمين- قد أدى الى ضياع أموال تكفي لبناء ما يقارب 600 ألف من المنازل لذوي الدخل المحدود" (باولو فريري ت: حامد عمارة وآخرون، 2004، صفحة 94)

فالفساد السياسي لا يفرق بين القطاعات ولا بين فئات الشعب بل هو مرض ينتشر في كل جسم الدولة، لا يقتصر على فئة دون أخرى والمعلمين ليس طرفا خارجا عن المجتمع فهم من يربيهم ولذلك هم أولى الناس بالتوعية والثورة عليه. وأولى مراحل المحاربة تكون بممارسة السياسة. وليس كما هو سائد أن السياسة حكر على طبقة وشخصيات ومهن معينة.

"ومبلغ القول أننا سنكون سذجا اذا استبعدنا الحاجة الى كفاح سياسي، والى الحاجة الى أن نوضح للرأي العام، الظروف الحقيقية التي تعيشها مهنة التعليم مما يستوجب مقارنة مرتبات مختلفة المهن وبيان التفاوت فيما بينها. اذا لندرك تمام الادراك أن التعليم هو الرافعة العظمى في عملية التحول الاجتماعي، كما ندرك أن دونه لن يحدث تحول" (باولو فريري ت: حامد عمارة وآخرون، 2004، صفحة 96/95)

وعليه فان "فريري" انطلق من تشخيص الواقع المتعفن على مستوى السياسة والاقتصاد وكذلك على مستوى المعارضة، ثم وضع طرق وكيفية النضال على مستوى كل الطبقات الشعبية.

لهذا رفض "فريري" اعتبار التعليم عملية محايدة خارج اطار السياسة، ورد علي منتقديه من خلال عمله على دروس "محو الأمية" و"تعليم الكبار"، وأنه عمل سياسي بالدرجة الأولى وليس تربوي كتب "فريري" يرد عليهم:

"أن محو الأمية برنامج ينحاز للمقهورين، وليس بالخطأ أن نوضح الحقيقة في اطار تربوي، نعلمهم فيه القراءة والكتابة وهذا هو الفعل السياسي، وليس على طريقتهم أين أخرجوا الحقيقة عن السياسة وبالتالي لاعمى لها في القاموس السياسي" (Tarlau, 2014, p. 66)

ففريري يتبنى الطبيعة السياسية للتعليم، ويشجع المعلمين على مراجعة العملية التعليمية لأجل بناء مجتمع أكثر عدلا. فكما يكون النظام السياسي فانه ينعكس على التربية والتعليم لأن النظام المتسلط ينتج شعبا لا يعرف الا القهر لتسيير شؤون حياته،

فيصبح المعلم قاهرا لطلابه، والأب لأسرته، أما لو كان النظام متفتحا ترى هذا التفتح ينعكس على المدرسة والأسرة والقضاء والمجتمع ككل.

4. القهر ممارسة للتربية:

لقد أولى "فريري" عناية كبيرة واهتماما بالغا، بفكرة القهر، فأفرد مساحة كبيرة من دراسته وأعماله لأجل لتحليل وتفسير هذه الظاهرة، لأنها تعتبر ميزة في المجتمعات النامية، فالقهر ليس مجرد ظاهرة اجتماعية واقتصادية، وإنما ثقافية بالدرجة الأولى أو بعبارة أخرى "ثقافة القهر"، بينما يسميها "فريري" "ثقافة الصمت"، يتم فيها قبول الأمر الواقع القهري، فيتأرجح الناس بين وهم التفاؤل وقهر التشاؤم غير قادرين على تغيير واقعهم وسعيهم اتجاه المستقبل.

وعلى أساس أن أول خطوة في علاج مشاكل مجتمعاتنا ادراك المرض وتشخيصه، ومرضنا هو القهر الذي ولد ثقافة الصمت والرضوخ خوفا ورهبة مع نكران الذات والتقليل من قيمتنا -ذوات لا تقوى على التفكير والابداع-، فاندفعنا لاستيراد حلول لا علاقة لها بأصل مشاكلنا فازدادت الأمور تعقيدا.

لهذا السبب نجد أن "فريري" قد انطلق من توضيح مشكلتنا كمجتمعات فنية -طاقة كبيرة- غير مستغلة أو لم يرد لها أن نستغل، فانتشرت مظاهر القهر والاغتراب وصارت أمرا ملاحظا أينما وجهت نظرك في دول العالم الثالث، ولقيمة وحساسية الموضوع في التربية، أفرد "فريري" كتابا كاملا يتحدث فيه عن القهر، وهو أشهر كتبه وأكثرها انتشارا وتأثيرا، حيث شرح فكرته قائلا:

"سوف يحفل هذا الكتاب ببعض الوجوه التي أسميتها "تعليم المقهورين" وهو نوع من التعليم حري بأن يصاحب المقهورين خلال نضالهم المستمر من أجل استعادة إنسانيتهم، وطريقتي تعتمد على تجلية القهر أمام المقهورين حتى يتسنى لهم النضال من أجل اكتساب حريتهم... أما المشكلة الرئيسية في هذا الكتاب كيف يستطيع المقهورون المقسمون والذين لا يشعرون بوجودهم أن يساهموا في تطوير أسلوب تعليمي يستهدف تحريرهم" (باولو فريري ت: يوسف نور عوض، 1980، صفحة 31)

بهذه الكلمات بدأ "فريري" أولى صفحات كتابه، لأجل أن يبرز أثر القهر وطرق التحرر منه، وأول ما بدأ به وضع مفهوم للقهر وتفسير وجوده وفي ذلك يقول:

"ولعله من أفدح المآسي التي يتقاسمها الانسان في الحقبة الحديثة تعرضه لسيطرة تلك الأساطير وأمثالها، وللتأثير المزيف لوسائل الإعلان المنظم، سواء أكان يحمل رسائل أيديولوجية أم غير أيديولوجية، وهكذا يحدث بالتدريج، وحتى دون ادراكه لمدى لخسارة، يتخلى الانسان عن قدرته على الاختيار، وهو ايزان بطرده من دائرة اتخاذ القرار... لفائدة النخبة، وعندما يحاول الضعفاء انقاذ أنفسهم مما أحاق بهم يجدون أنفسهم غرقى في بحار عدم الاكتراث والتجاهل لشأنهم، ودون أن يكون لهم أي أمل أو ثقة، وقد استأنسوا وتكيفوا لمسيرة الأوضاع القائمة" (باولو فريري ت: حامد عمارة، 2007، صفحة 39)

فصور القهر في أفكار تتخذ شكلا أسطوريا بناها ورسخها القاهر ليضمن سيطرته على مقهوريه، وكأنها نسخة مستحدثة لطرق التطويق الاستعماري، لكن عوض أن تكون من دخلاء، أصبحت من مَن نقاسمهم الوطن والهوية، الا أنهم استأثروا بالإنسانية لتكون حقا لهم دون غيرهم. لذلك فالإنسان المقهور هو الذي سلبت منه إنسانيته. ولتتضح الأمور أكثر اعتبر "فريري" قضية الأنسنة قضية أساسية ومركزية في فهمنا للقهر وسبل التحرر، فأراد أن يوضحها ويشرحها.

يقول "فريري":

"احتلت قضية "الأنسنة" من الناحية الأخلاقية المركز الرئيسي في اهتمام الانسان، وعلى الرغم من أنها ما تزال تحتل قدرا كبيرا من الاهتمام -لا يمكن تغافله- فان هذا الاهتمام يقودنا بالضرورة الى الاعتراف بما يناقضها وهي ظاهرة "اللائسنة" ليس بصفتها امكانا بل كونها حقيقة تاريخية" (باولو فريري ت: يوسف نور عوض، 1980، صفحة 27)

ومعنى الأنسنة أن يمارس الانسان وجوده البشري بشكل كامل ومتكامل غير مسلوب ولا منقوص، من حرية العمل والثقة والشعور بذات مستقلة لا تشعر بالغربة، لذلك لابد أن ندافع وتعلم على تحقيق إنسانيتنا مدركين في الوقت نفسه أن فقدنا ليس

قانونا أو حتمية لا يمكن تجاوزها، وكأنها هي الأصل وبالتالي من الطبيعي وجود القهر الذي يبرره المقهورون أنفسهم، وهذا ما شرحه "فريري" بقوله: أن النضال من أجل الأنسنة يصبح ذا جدوى فقط عندما ندرك أن اللأنسنة برغم أنها ظاهرة في التاريخ فهي لا تشكل حتمية مصيرية، فهي مجرد ظاهرة مؤقتة تعكس الظلم المكرس بالقوة في أيدي القاهرين ويمارسه هؤلاء ضد المقهورين" (باولو فريري ت: يوسف نور عوض، 1980، صفحة 27)

فغياب الأنسنة يقود الى تجذر وانتشار القهر، فأولى خطوات القهر أن تنزع من الانسان حريته وإدراكه بأحواله ووعيه الاجتماعي والثقافي وانتمائيه الحضاري وشعوره بقيمته وانتمائه. وبذلك يسهل ملأه وحشوه بما يناسب قاهريه الراغبين في السيطرة على المجتمع.

لذلك تقوم نظرية "فريري" على الاعتقاد الذي يرى التفكير والفهم الناقد للقهر سيؤدي بالضرورة الى التحرر، لكن لا يكفي أن يكون التفكير ناقدا لطبيعة القهر، بل يجب أن يكون هناك تصحيح للمعارف الداخلية للمجتمع ونزع الضباب الذي يعيق الرؤية الصحيحة -لأفراد والجماعات- للعلم، وهذا ما أكد عليه "فريري" بقوله: "والاجابة عندي هي أنهم بمجرد أن يكتشفوا حقيقة أنفسهم كرهائن في أيدي القاهرين يبدأون مخاضا سيسفر ولا شك عن ولادة حريتهم، ويتأكد من ذلك أن تعليم المقهورين هو أداة نقدية يكتشف بها المقهورين حقيقة أنفسهم وحقيقة قاهريهم كضحايا للنزاعات اللاإنسانية، فالحرية ولا شك مخاض مؤلم، غير ان الانسان الذي سينبثق في أجوائها هو ولا شك كائن جديد يتمتع بإنسانية أو بمعنى آخر هو كائن سيقضي على التناقض القائم في علاقة القاهرين والمقهورين، ذلك أن عمل الانسان الجديد سيكون مستغرقا في تحقيق مزيد من الحرية" (باولو فريري ت: يوسف نور عوض، 1980، صفحة 31)

5. الإنسان كائن واعي:

"الوعي هو العملية التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يفهم ويعرف العالم، وتلك عملية مقصورة على الإنسان وحده دون الحيوان. لأن الوجود في العالم يشمل الإنسان الجاهل، والحيوان، أما الإنسان الحقيقي الواعي فيوجد مع العالم في علاقة جدلية ناقدة

هادفة من خلال العمل الذي له نتائج وعلاقة تاريخية وفيزيقية، وبالتالي يكون له الوجود الاجتماعي غير ثابت ولكنه في تغير وتفاعل مستمر" (جاد مبروك عبد العالي، 2005، الصفحات 10-11)

وهذا ما عبر عنه "فريري" بعبارات صريحة وواضحة في كتابه "التعليم من أجل الوعي الناقد"، إذ يقول: "الإنسان جسد واع، ووعيه الذي يتسم بالقصدية الهادفة نحو العالم يظل دائما على وعي بأمر ما، وهو في حالة دائمة من التحرك في اتجاه الواقع، ومن ثم... فإن من شروط الكيان الإنساني أن يبقى في علاقة متصلة مع العالم. وفي سياق هذه العلاقة تتشكل صورته الذاتية لتصبح صورة موضوعية، حيث تجتمع مع هذه الأخيرة لتكون وحدة جدلية تتولد المعرفة منها المقترنة اقترانا وثيقا بالعقل" (باولو فريري ت: حامد عمارة، 2007، صفحة 209)

فالوعي ليس مجرد صفة بل هي التي تحدد ملامح الشخصية انطلاقا من كونها تجعل الإنسان يشعر بذاته في مقابل الموجودات الأخرى، ولهذا دور في الوصول إلى المعرفة انطلاقا من فرض ذاته واستقلاليتها لأن ذلك يساعده على الفصل بينه وبين مقابلاته في العلاقة الجدلية للحياة أو بمعنى آخر ممارسة الحياة من منطلق الاستقلالية لا الفرض والتبعية.

فوجود العالم لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال وعي الإنسان فلا وجود لها خارج الإدراك الإنساني، وفي هذا يقول حامد عمار: "من خلال الاكتشاف والتأمل يقوم الإنسان بإعطاء تسميات للأشياء في عالمه، وهي تسميات لإدراك ذاتي جماعي، ترمز للواقع المدرك، وليس صورة فوتوغرافية لذلك الواقع. وبذلك تتشابك وتتوحد عملية الإدراك الذاتي مع الموضوعات الخارجية المدركة، من خلال الإنسان العارف في وجوده الجماعي.

وإدراك الواقع إنما هي عملية وليست واقعة معطاة محددة ثابتة، وهو كذلك عملية اكتشاف مستمرة لا تنقطع.... ومن ثمة إذا كان الواقع وموجوداته ليس لها حقيقة خارج وعي الإنسان ومدركاته، فإن الإنسان ذاته يعيش داخل هذا الواقع كما يتفاعل معه ويفارقه في الوقت ذاته، متميزا عن سائر الكائنات الأخرى على أساس قدرته على التأمل والتفكير" (حامد عمارة، 2006، الصفحات 186-187)

6. الحرية والتحرر:

"ولدت نظرية "اللاهوت التحررية" في أمريكا اللاتينية في أواخر "الخمسينات" تحت تأثير نظرية التبعية، والتي نشأت كانعكاس للأحوال السائدة في المنطقة، فقام " راؤول بريش" هو عضو في " CEPAL " (اللجنة الاقتصادية الأمريكية اللاتينية) بالدعوة للوقوف الى جانب الفقراء من اجل اطلاق سراحهم وتحريرهم، وكان ذلك بالتزامن مع دعوة الحركة الفلسفية الكاثوليكية

فنمت الأفكار التحررية مع مؤتمر CELAM (المجلس الاسقفي الأمريكي اللاتينية) في "مدلين" عام 1968 م، وأصبح الارتباط وثيقا بين (الأفكار اللاهوت التحررية) وتعليم الناس، فعرف الفكر التحرري ازدهارا كبيرا بين فترة الخمسينات الى الثمانينات مع انتشار الفكر الماركسي بين المثقفين التقدميين ومعاونة الشعوب في المنطقة " (botman, 2014, pp. 47-48)

وبعد اطلاق "فريري" على مختلف التجارب في أمريكا اللاتينية ومناطق أخرى ابتدع نظرية تربوية تتداول في جانبها الأكبر قضايا ومسائل تتعلق بالكفاح ضد القهر وسبل التحرر ، وقد وصف "جيروكس" عمله قائلا:

" لقد جاء "فريري" ببعد جديد نحو نظرية تربوية، أقول انها جديدة بحكم أنه ربط بين الكفاح وخصوصيات حياة الأشخاص، وفي نفس الوقت عبر عن ايمانه وثقته في القوة الموجودة عند المقهورين من أجل تحقيق حريتهم واستقلالهم" (Jackson, 2004, p. 24)

فمن الطبيعي أن تكون استثارة الوعي مهمة ضرورية للتحرر، لكن الغريب في الموضوع أنه رغم قيمة الحرية ودورها نجد الناس يهربون منها وإذا أردنا أن نفسر ذلك نجده راجع لثقافة الصمت التي أوجدت خشية من كل مستحدث، وما يمكن أن يحمله التحول أو التجديد من مجهول المخاطر.

وهذا " ما عبر عنه عالم النفس "أريك فورم" في كتابه المشهور "الخوف من الحرية"...ولعل هذا الخوف من الحرية أو الهروب من تحمل مسؤولياتها هو الذي يسيطر على تعليمنا ليجعله اجتازا للثقافة المهيمنة، أو سعيا للجمود السلفي وما يرتبط بذلك من تجنب للمغامرة وحب الاستكشاف، أو محاولة البحث عن بدائل

وأنماط جديدة مبدعة في الفكر والفعل والثقافة والتعلم" (حامد عمارة، 2006، الصفحات 193-194)

ولهذا اعتبر "فريري" التربية و التعليم مساهمين في عملية التحرر، اذ يقول: "ومن أجل ذلك حرصت على أن أكرر أن التعليم ممارسة للحرية، وليس نقلا أو ايداعا للمعرفة أو الثقافات. كما أنه ليس مجرد ارشاد للمعرفة الفنية...، ثم انه ليس محاولة لتكيف المتعلم لظروف بيئته. اني أرى التعليم ممارسة للحرية، وفوق ذلك كله انه موقف حقيقي للمعرفة الاجتماعية، تصبح العلاقة بين المعلم والمتعلم طرفان كذوات عارفة أما الموضوع فيتوسطهما" (باولو فريري ت: حامد عمارة، 2007، صفحة 213)

فالتعليم أداة للتحرر، ووسيلة تعين على فهم الواقع لرسم الغايات، وتبريري وتوضيح قيمتنا كذوات عارفة ومدركة أن لها الحق في الاختيار.

"فالعمل التربوي اذا، فعل متحرر ومحرر، وبهذا المعنى تتطلب التربية التي أمن بها فريري مناخا موافيا لممارسة الانسان حريته التي لا تبدأ حيث تنتهي حرية الآخرين، وانما تبدأ حيث تبدأ حرية الآخرين، ونلمح هنا الى الارتباط الوثيق بين إمكانية تفعيل تربية كهذه، وضرورة وجود نظام سياسي تهيمن عليه وتصوغ حركته قيم الحرية والعدل والمساواة، وتفتح ممارسة الحرية إمكانية ابداع الانسان أنماط جديدة للحياة تنأى بها عن حتمية أن تكون تقليدا ومواصلة لخصائصها القديمة، أنماط جديدة للحياة تؤكد صيرورتها وتجدها" (الفتاح، 2016، صفحة 434)

وبهذا انطلق "فريري" معبدا طريق الحرية، ومجيبا عن السؤال:

كيف يصبح الانسان حرا؟، وذلك من خلال تشخيص "أريك فروم"، وهو يقول في ذلك: "ويشخص "أريك فروم" في كتابه "الخوف من الحرية" هذه المأساة الإنسانية حين يقول "يصبح الانسان حرا حين يتخلص من القيود الخارجية التي تحول دون انطلاق قدراته على الفعل والتفكير كما يراه هو ملائما. وبذلك يغدو حرا ليعمل حسبما تمليه ارادته اذا عرف ما يريد، وما يفكر فيه وما يشعر به" (باولو فريري ت: حامد عمارة، 2007، صفحة 39)

ويوضح ذلك أكثر بما أورده في كتابه "المعلمون بناة ثقافة"

"التدريس والمعرفة لا تتنازل عن حالة الحرية التي لا تعتبر منحة، بل انها مسألة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها، بل انها شرط لا يستقيم وجودنا دونه في هذا العالم، وهي حالة يجب أن نقاتل من أجلها لأنها جزء من وجودنا" (باولو فرييري ت: حامد عمارة وآخرون، 2004، صفحة 148)

فالحرية ليست هبة أو اعطاء، بل واقع يغبر عن ابداع الجنس البشري يبرز الجانب المندفع والحيوي في وجه عوائق اجتماعية وتاريخية وثقافية التي كونت ميراثا يقف حاجزا في سبيل وجودنا الذاتي، لذلك لابد من المغامرة والتضحية. فتحرير التعليم هو تحرير البشر من حالة الظلم التي وجدوا أنفسهم، في اطار الحقيقة الموضوعية.

كما بين "فرييري" دور المرأة في تحقيق الحرية والتي كانت تعاني في غالب الأحيان مقارنة بالرجل، فبين أن على المرأة كذلك أن تبني هويتها وكيانها أنها ليست تابعا للرجل بل مساندة له، "لتحقيق معنى الحرية لابد من الكفاح نحو التغيير للكفاح من خلال امتلاكنا لهوية، فالشعب يستطيع تحليل تجاربه لأجل التغيير واكتشاف العالم" (Jackson, 2004, p. 24)

ووصف "فرييري" المرأة "الشيلية" أنها استطاعت أن تحلل مسار حياتها وتخرج عن الواقع المفروض عليها، وأقر أن من إنسانية التربية "تدريس المرأة" كما الرجل، "فرحلة الرجل نحو الحرية كانت دائما على حساب المرأة، بمعنى أن المرأة كانت تستثمر الكثير من مشاعرها وقدراتها البدنية والعقلية في اهتمامها بالرجل والأطفال، وتسعى دائما لأجل فائدتهم داخل وخارج المنزل، وبهذا فان الرجال قد توفرت لديهم كل الحاجيات ليصبحوا مفكرين متحررين، فنانين وكتاب وقادة سياسيين لأن المرأة دعمتهم" فالتعليم أساس الوعي وبه تتحقق الثورة ويتم الحوار وتناقش المشاكل وترسم الحلول وبه يدرك الناس جميعا حقهم في الحرية ليدافعوا عنه ويتمتعوا به ليينوا ذاتهم ويتصالحو مع أنفسهم ومع مجتمعهم، فإما أن نحيا أحرارا أو نسعى لكي نتحرر.

7. خاتمة:

لقد عرضت فلسفة فريري التربوية واقع المجتمعات المتخلفة والمقهورة محاولة بذلك الوصول - بعد تحليل وتشخيص هذا التخلف - إلى سبل نهضة هذه المجتمعات، والتي تملك كل مقومات قيام الحضارة وليس التطور فقط.

وإدراكا بقيمة ودور التربية انطلق فريري في مشروع تربوي هادف من خلاله تصحيح مسار التربية، وجعلها مرادفة للتحرر والوعي، وبذلك اشتهرت نظريته حتى باتت تعرف بالتربية التحررية. ففريري لم يربطها بمجتمع أو بثقافة معينة بل جعلها عالمية يتعلق بها كل مقهور، أمة يهدف للتعليم والتألق والتقدم.

فالمجتمع المتخلف لا يحمل بذور تخلفه في ذاته بل زرعت فيه من قبل كل من له مصلحة في التخلف سواء كان هذا الزارع دخيلا أو داخليا. ولهذا زرع فريري الأمل كتربية في الأجيال الجديدة وطعمها بالإيمان في المستقبل حتى تعمل على هذه الرغبات والطموحات، فيتكون لنا مجتمع تربى على الوعي والتفكير الناقد، رافض للتبعية والقهر.

فالتربية ترمي إلى إشاعة جو من الأمن والحرية في المجتمع ومؤسساته، وتحقيق الإصلاح السياسي عبر المشاركة الجماعية والواسعة في اتخاذ القرار السياسي، وبذلك يصبح التعليم أداة لفهم الواقع ومشكلاته أولا، ثم ابتكار الحلول ثانيا، وليس استظهار المعلومات التي لا، ولم، ولن يحسن استخدامها ما لم يفهمها ويربطها بالواقع وتحدياته .

8. قائمة المراجع:

قائمة المراجع العربية:

باولو فرييري ت: حامد عمارة. (2007). *التعليم من أجل الوعي الناقد*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

باولو فرييري ت: حامد عمارة وآخرون. (2004). *المعلمون بناء الثقافة*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

باولو فرييري ت: سامي محمود. (2007). *تربية القلب*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

باولو فرييري ت: يوسف نور عوض. (1980). *تعليم المقهورين*. بيروت لبنان: دار القلم.

تركي عبد الفتاح. (2016). *تربية باولو فرييري-فكاك من أثر الحتمية الى رحاب الصيرورة*. مصر: دار المنظومة.

جاد مبروك عبد العالي. (2005). *النظرية التربوية عند باولو فرييري*. القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

حامد عمارة. (2006). *مواجهة العولمة في التعليم والثقافة*. مصر: مكتبة الأسرة.

حسام فتحي. (2009). *ثقافة*. جريدة القدس العربي، ثقافة، 78.

قائمة المراجع الأجنبية:

botman, B. v. (2014). "educators praxis and hope" a philosopgical analysis of post-apartheid teacher education policy. capetoon: university capetoon .

Houks, B. (1994). *Teaching to transgress Education as the practice of Freedom*. New York, USA.

Jackson, S. (2004). *Differently Academic, Developing lifelong learning for woman in higher Education*. London, UK: University of London.

Tarlau, R. S. (2014). *occupying land, occupying schools: Transforming education in the Brazilian countryside*. California, USA : , university of California.